د. محمد محمود أحمد النشار*

خاتمة الوجود الإسلامى فى غرب الأندلس

اعتلى الملك سانشو الثانى Sancho II المدعو Capello[1] عرش مملكة البرتغال (١٢٢٣) [٢]، بعد وفاة أبيه ألفونسو الثانى (١٢١١-١٢٢٣م)، ليواجه تركة مثقلة بالمشاكل، وخاصة مع رجال الدين ومع عماته . وكان أن بدأ الإصلاح بينه وبين رجال الدين فوقع اتفاقًا فى قلمريه ١٢٢٣م ينص على أن يحتفظ رجال الدين بجميع الحقوق التى حصلوا عليها من قبل، وأن تلغى جميع الاجراءات التى شكت منها الكنيسة ، مع منحهم بعض الامتيازات الجديدة[٣]، ثم عقد الصلح مع عماته وسلم لهن أراضيهن مع رواتب سنوية. وفى المقابل اعترفن بسلطة الملك على أراضيهن أى الاعتراف بالتبعية الإقطاعية وما تتطلبه من شروط وواجبات [٤].

أما بالنسبة لحركة الاسترداد البرتغالية فإنها توقفت بعد الاستيلاء على قصر أبى دانس Alcacer de Sol فى ١٢١٧م نتيجة لمشاكل ألفونسو الثانى مع رجال الدين ومع إخوته .

وعندما نجح ابنه وخليفته سانشو الثانى فى معالجة مختلف الشئون والمشاكل التى ورثها مع الحكم عن أبيه قرر أن يمارس حركة الاسترداد ومشاريع غزو أراضى المسلمين للاستيلاء على قلاعهم ومدنهم. وكان ذلك فى عام ١٢٢٦م عندما قام بحملته على الباس Elvas .

---

* أستاذ تاريخ العصور الوسطى المساعد- كلية الآداب- جامعة طنطا .

ومن الواضح أن النهوض بهذه المشاريع (للغزو) تطلب توافر دعامتين : الأولى أن تكون الأحوال مستقرة فى البرتغال وهذا ما تحقق على يديه منذ بداية توليته العرش، الدعامة الثانية هى أوضاع المسلمين فى الأندلس والمغرب آنذاك . ومن زاوية الوضع الإسلامى فإن الخليفة المستنصر بالله الموحدى الذى استغرق فى اللهو والحياة العابثة توفى عندما ضربته إحدى الأبقار وذلك فى ١٣ من ذى الحجة سنة ٦٢٠هـ الموافق ٦ يناير ١٢٢٤م [٥]. وأما بالنسبة لوضع الخلافة فقد اضطربت الأحوال فى الأندلس وخاصة بعد أن دعا بالخلافة لنفسه أبا محمد بن عبدالله بن محمد بن يوسف بن عبدالمؤمن صاحب جيان وتلقب بالظافر، والذى اشتهر بالبياسى نسبة إلى مدينة بياسة التى اعتصم بها، وانضم إليه البعض واشتعلت الحروب الأهلية بين المسلمين فى الأندلس الذين انقسموا إلى أقسام اشتد العداء بينها [٦]، حتى أن بعضهم تحالف مع القوى المسيحية ضد إخوانه من المسلمين [٧]. ومن الطبيعى أن يؤدى ذلك إلى تكالب الممالك المسيحية الأسبانية فى هجماتها على الأراضى الأندلسية.

ومن الإشارات الجديرة بالاهتمام للحميرى والذى أشار أثناء ما كان العادل فى أشد صراعه مع البياسى إلى غزوة على أراضى إشبيلية وخاصته بفحص طلياطة Tejado [٨]، ويشير إلى أنه فى جمادى الأول ٦٢٢هـ، ١٢٢٥م، قام الروم الغربيون (ويقصد الليونيون) بقيادة مارتين سانشيز Martin Sanchez وهو ابن غير شرعى لسانشو الأول[٩]. ملك البرتغال وعم الملك الحالى سانشو الثانى والذى كان فى خدمة مملكة ليون آنذاك وحينئذ أشار الحميرى أيضا إلى حال الأندلس آنذاك بقوله :

«فأغار الروم الغربيون على تلك الجهة وغنموا ما وجدوا وساقوا ما أصابوا والعادل صاحب المغرب يومئذ بإشبيليةٌ ووزيره أبوزيد بن وجان ومعهما أهل الدولة وأشياخ الأمر ولا غناء لديهم ولامدفع عندهم إذا كان الأمر قد أدبر وروتق الدولة قد تغير ومن نزلت به من الناس مصيبة سرح لم يرجع مغيثا ولايجد نصيرا»[١٠].

ويتضح من إشارة الحميرى مدى ما وصلت إليه حال الأندلس من ضعف وانهيار وما تلا من غزوات فى شرق الأندلس وغزوات فرديناند الثالث ملك قشتالة آنذاك بمعاونة البياسى فى معظمها حتى ١٢٢٦م. والأراضى الإسلامية تتلقى الضربات من شتى الممالك الأسبانية.

هكذا كانت الأندلس مسرحا للفتن والصراعات وكان الملك سانشو الثانى قد وطد حكمه وبدأت خططه فى غزو أراضى الأندلس تضامنا مع باقى غزوات الممالك المسيحية الأخرى وتحقيقا لأحلام ومشاريع مملكة البرتغال، خاصة وأن مملكة قشتالة قد تقدمت تقدما كبيرا ناحية الجنوب واستطاع القشتاليون بمحالفة البياسى أن يستولوا على العديد من المدن والقلاع الأندلسية فى منطقة جيان وقرطبه وأصبحوا يتحركون كما يشاءون فى أراضى الأندلس الوسطى حتى اقتربوا من قرطبة (١١).

وكان التنسيق بين المماليك المسيحية الثلاث (قشتالة - ليون - البرتغال) لحملاتهم جنوب التاجه يتم برعاية البابوية، إذ أن البابا وهو نوريوس الثالث (١٢١٦-١٢٢٧م) أرسل مبعوثا إلى مدينة شانت ياقب دى كومبلاستلا Santiago de compostela ثم توجه إلى براغا حيث تقابل مع فرناند الثالث ملك قشتالة فى ربيع ١٢٢٦م ثم قام بزيارة ألفونسو التاسع ملك ليون، وذلك للتنسيق مع سانشو الثانى ملك البرتغال(١٢) لأجل توحيد هجماتهم وتعاونهم ضد الأراضى الإسلامية ، وكانت الخطة أنه فى نفس توقيت مهاجمة ألفونسو التاسع لبطليوس يقوم سانشو الثانى بالهجوم على مدينة الباس Elvas(١٣) وقد أشار أحد المؤرخين إلى أن الهدف من توجه سانشو الثانى إلى هذه المدينة هو منع مساعدة القلاع الإسلامية الواقعة على ضفاف وادى يانة لمساعدة إخوانهم فى الإكسترمادورا الأسبانية(١٤).

وجدير بالذكر أن هذه المدينة ذات الموقع الاستراتيجى الهام تقع على منطقة الحدود ما بين البرتغال وليون . ويفسر ذلك الموقع الخطة الموضوعة المشار إليها سابقا- وتعتبر هذه المدينة قلعة حصينة جدا ومحاطة بجبل وأرضها غنية، وكانت مشهورة بأسوارها الحصينة القوية(١٥).

وعندما جهز الملك سانشو الثانى جيشه كان معه مارتين انيز Martin Anes رئيس أساقفة براغا ومعه دون أبريل بيريز Abril Peres والعديد من النبلاء والفرسان ، وتوجهوا إلى قلعة إلباس ، وذلك فى شهر يوليو ١٢٢٦م / ٦٢٣هـ . وقد طوق المدينة وحاصرها حصاراً تامًا فى حين تحصن المسلمون فى داخل المدينة ودافعوا عنها باستماتة (١٦). وأشارت الروايات التاريخية إلى ظهور الملك سانشو الثانى (فى أول اختبار له) كفارس وأنه أثبت جدارته كمحارب مثل جده الفونسو هزيكز ذلك أنه كان فى طليعة المهاجمين لأسوار المدينة ، وعرض نفسه للخطر لقربه من الأسوار حتى أصبح فى مرمى قذائف المسلمين، فأسرع أحد الفرسان ويدعى الفونسو منديز Alfonso Mendes إلى إنقاذ الملك وكان بدوره قد عرض نفسه لخطر

كبير لانقاذه[١٧]. وقد شدد الملك الحصار على المدينة ودافع المسلمون ببسالة، ولكن تحصينات إلباس كانت قد دمرت نتيجة للهجمات العنيفة للبرتغاليين، حتى أصبح الدفاع عنها صعبًا للغاية . ومع ذلك منذ استمات سكانها فى الدفاع عنها رغم تدمير معظم منازلها من شدة القذف[١٨].

وتوجد ثلاث روايات حول سقوط المدينة :

الأولى أن سانشو ملك البرتغال اقتحم المدينة واستولى عليها وأجبر سكانها المسلمين على الخروج منها ، ووضع فيها إحدى الحاميات . وأصدر مرسوما نصه :

«أنا سانشو الثانى ملك البرتغال ابن الملك المشهور ألفونسو مع زوجتى الملكة أوراكا ورغبة فى تعمير مدينة الباس التى استوليت . عليها من المسلمين قد منحتها إلى الأشخاص التاليين لتعميرها».

والمرسوم صادر فى عام ١٢٢٦ م ويفهم منه أن المدينة تم الاستيلاء عليها فى هذا العام[١٩].

وفى الرواية الثانية أنه استولى عليها ثم تركها وانسحب منها واستردها المسلمون مرة أخرى [٢٠]، ولم توضح الرواية لماذا انسحب منها وتركها .

وأما الرواية الأخيرة فهى أنه لم يستول عليها بل تركها لسبب غير معروف ثم بعد ثلاث سنوات قام بإرسال جيش مرة أخرى بقيادة مارتين انيز Martin Anes الذى نجح فى حصارها والاستيلاء عليها فى سنة ١٢٢٩م[٢١].

ويبدو أن الرواية الأولى هى الأقرب إلى الواقع لأن براندو Brando وهو مؤرخ ثبت أنه يعتمد كثيرا فى تاريخه على الاستشهاد بالنصوص والروايات .

وجدير بالذكر أنه بعد الاستيلاء على الباس أعطى الملك كثيراً من الحقوق والامتيازات لسكان إحدى المدن البرتغالية التى تدعى ماريا و Marvao وأيضا لجماعة رهبان فرسان الاسبتارية لتعمير المناطق المحيطة بالباس واستولى أيضا على قلاع جديدة مثل قلعة بيلا مندو Vila Mendo وسالبتيرا دى إكسترموا Salvaterra de extremo [٢٢].

والواقع أن التعاون كان وثيقا بين الملك سانشو الثانى وجماعات الرهبان الفرسان فى مهاجمة الأراضى الإسلامية ، إذ أشارت الروايات إلى أنه فى نهائيات عام ١٢٢٩م ٦٢٧ هـ

فى نفس يوم استيلاء ألفونسو التاسع ملك ليون على مدينة ماردة Merida استولى أيضًا الملك البرتغالى على مدينة جلمانية Juremena (Juromenha) . وجدير بالذكر أن الروايات قد اختلفت فى تاريخ الاستيلاء ما بين ١٢٢٩م وأوائل ١٢٣٠م[٢٣] وهذا يتفق مع قراءة الأحداث إذ أن سانشو الثانى خرج فى أواخر عام ١٢٢٩م وكان الاستيلاء عليها فى أوئل عام ١٢٣٠م خاصة وأن براندو قد أشار إلى الاستيلاء عليها فى هذا التاريخ الأخير.

وفى أثناء نشاط الملك سانشو فى الأراضى الإسلامية على ضفاف وادى يانة الشمالية توفى ألفونسو التاسع ملك ليون فى عام ١٢٣٠م ورث مملكته ابنه فرديناند الثالث ملك قشتالة ، فتم بذلك توحيد المملكتين واستتبع ذلك النزاعات على الحدود مع مملكة البرتغال . ولكن اتفقوا سريعا على تقسيم بعض الأراضى التى كانت على الحدود مع المسلمين واتخاذها مجالا ومناطق لفتوحاتهم فى أغسطس ١٢٣١م[٢٤].

وكان لجماعات الرهبان الفرسان دور كبير سواء فى الاشتراك مع الجيوش البرتغالية فى غزو الأراضى والقلاع الإسلامية أو فى تعمير الأراضى المفتوحة حديثا وتأسيس القلاع الجديدة على الحدود مع المسلمين (وسيتعاظم دورهم لاحقا) ولذلك نرى أنه فى مارس ١٢٣٢م منح الملك سانشو الثانى خطابًا (موقع فى قلمرية) بهبة للإسبتارية يمنحهم الكثير من الأراضى على الحدود مع المسلمين لتعميرها فأسسوا قلعة جديدة اتخذت اسم اوكراتوUcrato(Ocrato)[٢٥].

ومن أهم الاستيلاءات التى أشارت إليها الروايات التاريخية ما قام به الملك سانشو الثانى فى عام ١٢٣٢م تنفيذا لأهدافه وسياسته فى الاستيلاء على الأراضى والمدن الإسلامية، إذ استولى فى الإلنتخو على قلعة شربة Serpa وتقع شرقى نهر وادى يانة إلى الجنوب الشرقى من مدينة باجة . كذلك استولى على قلعة مورا Moura وهى أيضًا شرق نهر وادى يانة إلى الشمال من شربة وإلى الشمال الشرقى من مدينة باجة واللتان استسلمتا له سريعا وتعتبر هاتان القلعتان من أهم الاستيلاءات فى وادى يانة وعهد بالدفاع عنهما وعن الأراضى المحيطة بهما لجماعة رهبان فرسان الاسبتارية بزعامة ألفونسو بيريز فارينا Alfonso Peres Fa-rina[٢٦]، وكان محاربا له نشاط كبير فى تلك المناطق . ويبدو أن ذلك كان مكافأة لهم على دورهم فى الاستيلاء على هذه القلاع .

وهكذا استمر الملك سانشو الثانى فى حملاته ضد الأراضى والقلاع الإسلامية وتعمير الأراضى المحيطة بها واشراك جماعات الرهبان الفرسان فى نشاطه المكثف ضد المسلمين وقد

أشارت لنا المدونات التاريخية أنه نتيجة لهذا المجهود الكبير الذى يقوم به ملك البرتغال ضد المسلمين ، فإن البابا جريجورى التاسع (١٢٢٧-١٢٤١م) منحه حمايته ورعايته وأعرب عن مساعدته للملك البرتغالى فى حروبه ضد المسلمين والسماح للصليبيين بالاشتراك فى هذه الحروب لمدة أربع سنوات [٢٨].

وهكذا غدت الحرب ضد المسلمين فى الأندلس شعارا تنادى به كل القوى الأوربية آنذاك، واستمرت تحظى بتشجيع الممالك المسيحية الأسبانية مما ترك أكبر الأثر فى أحوال شبه الجزيرة الإيبريه ذلك أن شبه الجزيرة لم تشهد مثل الحماس والروح والتكالب على الأراضى الإسلامية ، ولذلك تعتبر هذه الفترة ذروة الصراع ضد مسلمى الأندلس .

وفى تلك الحرب العدوانية بدأت تظهر أهمية جماعات الرهبان الفرسان إذ غدت هى التى تتولى القيام بغارات وغزوات ضد القلاع الإسلامية الصغيرة وتشير الروايات التاريخية إلى جماعة رهبان القديس شانت ياقب التى بدأت فى مملكة ليون وصارت لها فروع فى مملكة البرتغال ومن أهم مراكزها الرئيسية مدينة بلمالة Palmela وبعد استيلاء الملك الفونسو الثانى على مدينة قصر أبى دانس منحها لجماعة القديس شانت ياقب وكان حاكم هذه المدينة وزعيم الجماعة فى البرتغال هو الفارس بايو بريز كوريا .
Paio peres Correia (Pelayo Perez Correa)[٢٩]

وفى نهائيات ١٢٣٤م استولت تلك الجماعة على إحدى القلاع التى تدعى الجسترل Al-justral وبذلك وصلت الحدود البرتغالية حتى أعالى الألنتجو على طول خط وادى يانة إلى الشرق من نفس هذا النهر [٣٠]. وتشجيعا لهذه الجماعة أصدر الملك سانشو الثانى مرسوما فى ٣١ مارس ١٢٣٥م بمنح هذه القلعة إلى جماعة شانت ياقب [٣٢]، وفى نفس هذا العام استولت الجماعة على كل الأراضى المحيطة بوادى سيسمبر Vila de sesimbera [٣٢].

واستمرت حملات البرتغاليين فى عام ١٢٣٦ م فى نفس إقليم الألنتخو ، إذ أن الملك سانشو الثانى استولى على مدينة اروشس Arroches (٧يناير ١٢٣٦م) واستمر فى حملاته حتى استولى على كل الأراضى الواقعة على ضفاف نهر كوا Coa-والتى سوف تحدث نزاعات حولها فى المستقبل مع مملكة قشتالة[٣٣].

وهنا يبرز أمامنا تساؤل له أهمية : وهو ماذا كان موقف المسلمين من هذه الضربات العدوانية الواقع أننا إذا نظرنا إلى مسرح الأحداث نجد أنه ليست مملكة البرتغال وحدها هى

التى كانت تهاجم وتستولى على المدن والقلاع الإسلامية، إذ أن ممالك قشتالة ليون وأرجوان شاركت هى الأخرى فى هذه الفترة فى العدوان على الأراضى الإسلامية، والمسلمون عاجزون عن وقف هذه الهجمات خاصة وأن الحروب الأهلية والاضطرابات ظلت مستمرة حول منصب الخلافة ، مما عرض المسلمين بالأندلس لخسائر فادحة. من ذلك أن السيد أبا العلى ادريس ابن يعقوب المنصور والى أشبيلية وقرطبة دعا لنفسه بالخلافة عقب مقتل الخليفة العادل وتلقب بالمأمـــون[٣٤]. وفى نفس الوقت دعا لنفسه بالخلافة أيضا أبوزكريا يحيى بن الناصر فى المغـــــرب[٣٥]، وهكذا شغل المأمون بقتال يحيى فى المغرب بمساعدة جيش من قشتالة وصراعهما[٣٦]. وبعد ذلك ظهر مدع جديد للخلافة هو السيد أبو موسى عمران بن يعقوب المنصور أخو المأمون ...[٣٧]، كل هذه الصراعات نشبت بين زعماء الدولة الموحدية فى نفس الوقت الذى ظهرت ثورات الأندلسيين ضد الموحدين ، وكان أهمها ثورة ابن هود وهو عبدالله محمد بن يوسف بن هود ، الذى دان له الكثير من مدن وأقاليم الأندلس وأصبح أميراً شرعيا على الأندلسيين، وقد اعترف بسيادة الخلافة العباسية وكان سلطته تمتد فى شرق الأندلس من الجزيرة وشاطبة حتى ألمريه جنوبا ، وفيما بين المريه والجزيرة الخضراء. وفى وسط الأندلس فيما بين قرطبه وغرناطة. وكان يمثل الفكرة الأندلسية القومية والتى تهدف إلى تحرير الأندلس من الموحدين والمسيحيين جميعا [٣٨].

وهكذا أصبحت الأندلس مثاراً للصراعات بين مختلف القوى، كل يسعى لمصلحته الخاصة، وكل عنصر من هذه القوى لايقوى على مقاومة الممالك المسيحية الإسبانية ، خاصة وأنهم فى صراعاتهم يحتاجون إلى قوتهم لقتال منافسيهم .

وقد أشارت لنا الروايات البرتغالية إلى نشاط مكثف فيما بين عامى ١٢٣٨م ١٢٤٠م للبرتغاليين فى حملاتهم ضد الأراضى والمدن والقلاع الإسلامية، إذ أن الملك سانشو الثانى توجه بجيشه إلى ضفاف وادى يانة حيث قلعة مارتلة Mertola [٣٩] وهى من أمنع القلاع وتقع فى منطقة حصينة حصانة طبيعية غربى نهر وادى يانه، وتحدها من الشمال الغربى إلى الشمال انهار Cabres et erges وبها حاميه قوية جدا ولها أهمية كبيرة منذ عهد الرومان والقوط ومن المدن التجارية الهامة. وقد نجح فى حصارها والاستيلاء عليها[٤٠]. ثم توجه إلى قلعة الفجار دى بنا Alfajar de Pena [٤١]، وأيمونت Aiamonte على الضفاف الشمالية لوادى يانه وقرب مصب النهر فى المحيط الاطلنطى ومنحت تلك القلاع لجماعة القديس شانت ياقب[٤٢].

وكان أن خرج بايو بيريز وجماعته فى عام ١٢٤٠م، وتوجه إلى حقل أوريك Ourique وكان أول مكان وصل إليه هو برج استمبار Torre de Estombar فقام بتدميره وعندما تصدى له المسلمون فى ذلك المكان نجح فى الانتصار عليهم ثم استولى على قلعة البور Al-vor[٤٣]، التى تقع بين شلب Silves ولاجوس Lagos، واشتبك هناك مع جيش من المسلمين كان قد تجمع من مدينة شلب وكل المناطق المجاورة وأتى لنجدة القلعة، ولكنه انتصر عليهم أيضًا[٤٤].

وبعد الهزيمة عرض المسلمون على «بايو» أن يسلموه مدينة كاسيلا Cacela بدلا من مدينتى برج استنبار Torr de Estombar والبور Alvor اللتين استولى عليهما، على أن تعاد المدينتين للمسلمين، وذلك لأن مدينة كاسلا أبعد قليلا من أراضى المسلمين فى حين أن المدينتين هما أقرب المدن إلى أراضيهم[٤٥].

وتوضع إحدى الروايات أن السيد بابو غضب كثيرا من عرض المسلمين بأن يترك هذه الأراضى البعيدة عن أملاكه والقريبة من أملاك المسلمين فى مقابل أراضى قريبة من أراضيه ولكنه رفض لغنى هذه الأراضى وأهميتها [٤٦]، ويبدو أن رفضه راجع أيضًا إلى أن هاتين المدينتين القريبتين من أراضى المسلمين يمكن أن يتخذها قاعدتين أماميتين للهجوم على أراضى المسلمين وفى نفس القوت فإن الدور على مدينة كاسلا لن يطول .

ثم كان أن واصل بايو حملاته فتوجه إلى ميناء كاسيلا Porte de Casela وهو ميناء هام على المحيط الأطلنطى إلى الغرب قليلا من طبيرة، وهى منطقة قوية حصينة مليئة بالسكان ويستطيع المسلمون المجاورون لها نجدتها بسرعة[٤٧]. ومنحت هذه المدن الجديدة أيضًا لجماعة القديس شانت ياقب بزعامة بايو كارير[٤٨] ويعتبر هذا تشجيعا من الملك البرتغالى سانشو الثانى لهذه الجماعة لكى تستمر فى نشاطها وحملاتها ضد المسلمين وتعمير الأراضى المفتوحة.

وقام «بايو» أيضًا بالاستيلاء علي كل القلاع المجاورة للمدن السابقة. وكان أهمها على نهر ريباكو Ribacoa مثل فيلار Vilar ومايور Maior وسابوجال Sabugal وجستوسا Ges-tosa وقلعة رودريك Castel Rodrigo [٤٩].

وهكذا تكالبت الجيوش البرتغالية على المدن والقلاع الإسلامية، فنجد أن بايو وجماعته خرجوا من كاسلا Cacela فى عام ١٢٤٢م / ٦٤٠هـ للاستيلاء على مدينة بادرنى Paderne مما جعل المسلمين يتجمعون من مدن فارو Faro (شنتمرية الغرب) ولولى Loule وطبيرة Ta-

vira وتوجهوا للقاء بايو وجيشه فى إحدى الأماكن التى تدعى دسبارتو Desbarato. وحدثت معركة كبيرة بينهم انتصر فيها «بايو» على المسلمين(٥٠) ثم وصل إلى مدينة بادرنى التى كانت حينئذ تواجه مشاكل داخلية، ولكن سرعان ما اتحد سكانها واتفقوا على مقاومة البرتغاليين. ونتيجة لحصانة هذه المدينة وعلم بايو بتجمع جيش من المسلمين مرة أخرى من مدن فارو وطبيرة وأماكن أخرى مجاورة ، غير بايو اتجاهه إلى مدينة لولى Loule ثم توجه إلى إقليم طبيرة (Tavira Tavila) ويبدو أن الهدف الرئيسى فى تحركاته هى التمويه لكى يفاجىء مدينة طبيرة وقد وصل إلى إقليم طبيرة وما كاد يصل إلى ذلك الإقليم حتى نظم قواته للمعركة رافعا أعلامه . واستعد المسلمون لمقاومته ونشب القتال وأشارت المدونات البرتغالية إلى أن المسلمين لم يستطيعوا الصمود أمام هجمات البرتغاليين، وأصبح كل واحد من المسلمين يسعى لإنقاذ حياته . وأسفرت الموقعة عن أعداد كبيرة من القتلى والجرحى المسلمين(٥١).

وعندما وجد بايو أنه يجب عليه أولا القضاد على الجيوش الإسلامية فى ذلك الإقليم قبل أن يحاصر المدينة للاستيلاء عليها تعقب المسلمين ، والتقى مع فلول الجيش الهارب والذى لجأ إلى المكان المسمى فورادیرو Furadero وهناك نشبت المعركة فى منطقة نافورة الأسقف Fon-tedo Bispo وقد قتل عدد من البرتغاليين ولكن قتل من المسلمين كثيرين(٥٢) وأشار برنداو إلى أن بايو استمر فى تحركاته حتى التقى مع أحد الجيوش الإسلامية فى منطقة رأس مسترى Cabeca do mestre وقد صمد المسلمون فى بادىء الأمر ولكنهم لم يستطيعوا الاستمرار فى القتال حتى قدوم الليل، وأصبح الخطر بالنسبة لهم كبيرا مما دفعهم إلى الانسحاب خشية قدوم نجدات للبرتغاليين ثم عاد الجيش البرتغالى فرحا بهذه الانتصارات إلى كاسلا Cacela (٥٣). ويبدو أن عودته كانت ضرورية لتنظيم جيشه بعد هذه المعارك المتتالية، واستكمال استعداداته من أجل الهدف الرئيسى لحملاته السابقة، وهو الاستيلاء على كل القلاع والمدن فى الطريق إلى مدينته طبيرة Tavira .

وجدير بالذكر أن هذه المدينة لها أهمية كبيرة إذ أنها تقع على المحيط الأطلنطى إلى الغرب قليلا من مصب نهر وادى يانة فى المحيط. وهى على بعد أربع فراسخ (الفرسخ ثلاثة أميال) من مصب النهر المذكور. وقد أشارت المدونات البرتغالية إلى أهميتها وأنها ذات أسوار قوية تحيط بها من جميع الأطراف وقلعتها فى الداخل قديمه وقوية وبها كثير من المبانى ولذا فإنها من المدن الحيوية فى تلك المنطقة(٥٤). وكان المسلمون يعلمون أنها هدف لبايو وجيشه، ولذلك

حاولوا الحصول على هدنة معه لمدة أربعة أشهر كوقت ضرورى لأجل استكمال استعداداتهم وتجهيز الاستحكامات للدفاع عن أراضيهم، وأيضا من أجل طلب النجدات واحضار المساعدات لكى يستطيعوا الصمود أمام هجمات بايو [٥٦]. ولكن بايو لم يستجب لهم ثم خرج مرة أخرى وتوجه إلى طبيرة . وقد توقف فى الطريق فى المكان المسمى المارجين Al-margen لكى نظم قواته، عندما علم أن المسلمين قد تحصنوا فى داخل المدينة ، وصمموا على القتال. فانتظر وصول بعض الامدادات إليه ثم طلب المسلمين فى طبيرة والأماكن المجاورة المفاوضات مع بايو ولكنهم فشلوا[٥٦] (ويبدو أنه أدرك أن المسلمين يريدون اطالة الوقت فى انتظار النجدة) فتوجه سريعا إلى طبيرة ليهاجمها فجأة، ونجح فى مفاجأة المسلمين فى المدينة. وكانت أبوابها مقفلة وقد فتح المسلمون أحد الأبواب لكى يخرجوا منه لمقاومة البرتغاليين الذين نجحوا فى الانتصار على المسلمين وشددوا الهجوم على المدينة حتى دخلوها وذبحوا كل قادر على القتال فى المدينة كما قتلوا الكثيرين من سكانها [٥٧]. وأشارت الروايات إلى أن قائد المدينة والذى يدعى ابن فلول Aben Falule ، نجا بحياته وفر من المدينة (وفى رواية أخرى قتل) واستولوا عليها فى ٩ يوليو ١٢٤٢ (وفى رواية ١١ يوليو) ، فحولوا مسجدها الجامع إلى كنيسة سانتا ماريا [٥٨]، وقد اختلفت بعض الروايات فى تاريخ الاستيلاء عليها، ما بين تاريخى (١٢٤٢ أو ١٢٤٩م) ولكن يبدو أن الاستيلاد عليها تم فى عام ١٢٤٢ ويؤكد ذلك أن هذه المدينة منحت إلى جماعة القديس شانت ياقب أى جماعة بايو فى وثيقة مؤرخة ٩ يناير ١٢٤٤ وهذا ما يؤكده أيضا عدد من المؤرخين المحدثين [٥٩].

أما بايو فقد قرر أن لايفقد الوقت ولاعنصر المفاجأة فتوجه بسرعة إلى البور Alvor واستولى عليها مرة أخرى (ويبدو أن المسلمين كانوا قد استعادوا هذه القلعة مرة أخرى لأنه سبق الاستيلاء عليها) ثم توجه إلى حصار مدينة باردنى Paderne وكانت قلعة قوية جدا واستولى عليها أيضًا .

وكانت آخر المشاريع الكبيرة فى عهد الملك سانشو الثانى هو الاستيلاء على مدينة شلب[٦٠]، وهى من أهم مدن غرب الأندلس . وقد أشادت بموقعها وحصانتها وأهميتها وما تتمتع به من ثروات المصادر الإسلامية والمدونات البرتغالية . واحتلت مكانة بارزة فى عهد الموحدين [٦١].

ثم توجه بايو بيريز إلى منطقة شلب . وفى الطريق هاجم قلعة برج استمبار Torre de stombar، وهى القلعة التى كان قد استولى عليها من قبل سنة ١٢٤٠م ولكن المسلمين

استردوها مرة أخرى. وكانت هذه القلعة تابعة لابن عفان Aben Afan حاكم مدينة شلب . ويبدو أنها كانت خطة ماكرة من بايو بيريز إذ أن ابن عفان عندما علم بذلك خرج مسرعا من شلب لإنقاذ هذه القلعة . وعندما علم بايو بخروجه أسرع بجيشه تجاه شلب(٦٢).

وعندما علم ابن عفان بالموقف أسرع بالرجوع إلى مدينته، فوجد البرتغاليين محاصرين للمدينة وقد هاجموها . وهدموا منطقة فى سورها بجوار الباب الذى يدعى زايا (Azaia) Zaya وفى تلك المنطقة بجوار كنيسة سانت ماريا، التقى الجيش المسلم بقيادة ابن عفان بالجيش البرتغالى بقيادة بايو، وانهزم ابن عفان مما جعله يلجأ إلى القلعة داخل المدينة لكى يتحصن فى داخلها . ولكنه وجد أنه لاقبل له بقتال البرتغاليين ولايتوقع انتظار نجدة من المسلمين فى تلك المناطق مع صعوبة الاحتفاظ والصمود داخل المدينة(٦٣).

ولذلك أرسل ابن عفان أحد الفرسان ليبحث عن مخرج ونجح فى الفرار مع بعض أتباعه ولكنه غرق أثناء عبوره النهر على فرسه فى أحد الأماكن العميقة يدعى (حتى الآن) مخاضة ابن عفان Pego de Aben Afan (٦٤) أما عن باقى المسلمين فى داخل المدينة فإنهم دافعوا عن القلعة فى حدود إمكاناتهم ولكن نجح بايو فى نهاية الأمر فى الدخول والاستيلاء على القلعة. ويشير برنداو إلى أن المسلمين فى القلعة طلبوا الرحمة من دوق بايو الذى لم يخل سكانها وسمح لهم بالإقامة (٦٥)، وكان المسلمون الذين يبقون فى المدن ويخضعون للحكم المسيحى، كما يحدث للمستعربين فى الأراضى الإسلامية يدفعون جزية سنوية على الرأس(٦٦). ثم توجه بعد ذلك إلى بادرنى Paderne واستولى على القلعة بالقوة وقتل المسلمين لقتلهم اثنين من الفرسان الرهبان هناك(٦٧).

وجدير بالذكر أن جميع الروايات البرتغالية اختلفت فى تحديد سنوات الاستيلاء على المدن والقلاع الإسلامية ما بين تقديم وتأخير. ولكن يبدو أن هناك بعض التعتيم المقصود من بعض الروايات البرتغالية ، إذ أضافوا الكثير من الاستيلاءات على عهد الملك الفونسو الثالث لسنة ١٢٤٨م والبعض الآخر يرى أنه منذ بداية الحروب الأهلية التجأ الملك سانشو الثانى إلى مملكة قشتالة واستيلاء أخيه على الحكم فى سنة ١٢٤٥م ويضع كل حملات بايو فى عهد الملك الفونسو الثالث. ويبدو أن بعض المدن قد استولى عليها البرتغاليون فى عهد الملك سانشو الثانى ثم استردها المسلمون وتم الاستيلاء عليها مرة أخرى فى عهد الملك الفونسو الثالث، ولكن بعد تحقيق ودراية اعتمدنا على مقارنة الروايات واستعراض أحداث الروايات نفسها :

التى تنسب هذه الفتوحات إلى عهد الملك ألفونسو الثالث نجد أنها تتناقض فى بعض الأحداث، إذ تذكر أحداثا من المعلوم حدوثها فى عهد الملك سانشو الثانى . وجدير بالذكر أن برنداو هو أكثر المؤرخين البرتغاليين القدامى دقة حيث يعتمد على الوثائق والنصوص فى تأكيد سنوات الأحداث . وعلى سبيل المثال هناك أحداث الاستيلاء على طبيره فقد وضعها فى سنة ١٢٤٢ ثم بعدها فى نفس العام شلب- كما أشرنا- واتفق فى تفاصيل الأحداث مع بعض المؤرخين القدامى وهناك بعض المدونات مثل مدونة الملوك السبعة الأوائل للبرتغال تضع هذه الأحداث فى مدونة الملك ألفونسو الثالث، وأيضا مدونة الخمس ملوك الأوائل للبرتغال توضع فى عهد الملك ألفونسو الثالث، وكلها حدث فى سنوات ١٢٤٩-١٢٥٠م . ولكن معظم المؤلفات الحديثة وضعت هذه الأحداث فى عهد الملك سانشو الثانى اتفاقا مع وثائق برنداور.

ولنا أن نتساءل عن موقف المسلمين من هذه الحملات والغزوات البرتغالية على الأراضى الإسلامية فى غرب الأندلس؟

وجدير بالذكر أن هذه الحملات كانت تتواكب مع حملات مملكة قشتالة ومملكة أراجون إذ نجح الملك فرديناند الثالث فى الاستيلاء على العديد من القلاع والمدن الإسلامية وأهمها ابده سنة ١٢٣٣م وقرطبة سنة ١٢٣٦م[٦٨]، وخايم الأول ملك أراجون استولى أيضا على العديد من المدن والقلاع الإسلامية، وأهمها الجزر الشرقية وميورقة ومنورقة ويابسة سنة ١٢٣١م وبلنسية سنة ١٢٣٨ وما حولها [٦٩]. أما بالنسبة للمسلمين فكانت الضربات تتلاحق على جميع أراضى الأندلس مضافا إليها النزاعات والحروب الأهلية التى منعت تضافر وتوحيد جهود القوى الإسلامية ضد نهشات الممالك المسيحية الإسبانية. ويهمنا هنا منطقة غرب الأندلس فقد كانت الصراعات قد اشتعلت بين ابن هود وابن الأحمر[٧٠]، وإذا كان ابن الأحمر قد اعترف بسلطنه ابن هود فإنه سرعان ما ظهر قاضى مدينة لبلة Niebla شعيب بن محمد بن محفوظ ليدعو لنفسه، وتسمى بالمعتصم فتوجه ابن هود لقتاله وعندئذ امتنع ابن محفوظ فى مدينته ونجح فى الصمود، مما دعا ابن هود لترك حصارها، ٦٣٢هـ/ ١٢٣٥م [٧١] وبذلك قامت مملكة ابن محفوظ وعاصمتها لبلة. ويمتد هذا الإقليم من رأس القديس فيكنت San Vi-cente إلى الغرب حتى مصب نهر الوادى الكبير ويحده من الشمال سيرا مورينا Sierra Mo-rina ومن الجنوب البحر وإقليمها الحالى يشمل ولبه علاوة على شريبة Serpa ومورا فى الألنتخو (البرتغال) وكل الغرب مع مدن فارو وطبيرة ولولى Loule وكاستروماريـن Castromarin[٧٢].

وبهذا يتضح أن منطقة وغزوات البرتغاليين هى أملاك تابعة لمملكة ابن محفوظ فى لبلة، ولكن لماذا لم يقم بمجهودات فى الدفاع عن مملكته؟ والواقع أنه أعلن حكمه فى سنة ٦٣٢هـ / ١٢٣٥م، وكان على صراع مع ابن هود فى نفس الوقت ، متخوفا من هجمات ملك قشتالة فرديناند الثالث، فكان لايستطيع أن يترك عاصمته ليدافع عن أراضيه فى مناطق أخرى، خاصة وهو لايأمن من التحرك منها خوفا من ابن هود وملك قشتالة ولذلك اعتمد على مبدأ أن تدافع هذه المدن عن نفسها . وكانت كل مدينة تعتمد على الدفاع عن نفسها بجهود سكانها وحاميتها ، وأحيانا عندما يكون الخطر مشتركا تتعاون القرى والقلاع المجاورة فى التصدى للغزوات البرتغالية.

* * *

وقد تعرضت مملكة البرتغال فى عام سنة ١٢٤٥م لأحداث هامة، إذ قامت فيها ثورة ضد الملك سانشو الثانى ، وكانت بقيادة أخيه الفونسو كونت بولونيا- الذى كان متزوجًا من ماتيلده صاحبة بولونيا وأصبح أميراً على هذه الولاية(٧٣). وكانت لهذه الثورة أسباب عديدة أهمها العداء والنزاعات بين سانشو الثانى والأشراف (النبلاء) ، بالإضافة إلى نزاعاته أيضا مع رجال الدين، إلى جانب تربص كل من أخويه الفونسو وفرديناند وعمه بدرو ، وخضوع سانشو الثانى لنفوذ زوجته ، خاصة أنه ليس له ولد. واتفق الجميع على خلع الملك عن العرش. وأيد البابا هذا الطلب واتفق الجميع على عزل الملك وتولية أخيه الفونسو ، وصدر قرار البابا فى ٢٢ يوليو سنة ١٢٤٥ م بعزل الملك سانشو الثانى وتنصيب أخيه مكانه فى الحكم، ولم تلبث أن اشتعلت الحروب الأهلية وتحالف الجميع ضد سانشو الثانى، ماعدا قلة من أتباعه من النبلاء ، مما اضطره للفرار إلى مملكة قشتالة. ولجأ إلى ملكها فرديناند الثالث. وخرج بجيش، ومعه الفونسو أكبر أبناء الملك فرديناند ووريثه، وزحفوا على البرتغال، ولكن حدثت مفاوضات عرض فيها الفونسو الثالث على الفونسو ولى عهد قشتالة قرار البابا، فوجد نفسه فى موقف صعب، مما دفعه إلى العودة دون قتال . وهكذا استمرت النزاعات حول بعض القلاع والمدن ، وأهمها قلمريه التى ثبتت على ولائها لسانشو الثانى حتى توفى الأخير فى طليطلة يناير سنة ١٢٤٨م(٧٤).

وجدير بالذكر أن فترة الحروب الأهلية ١٢٤٥-١٢٤٨م لم تشر الروايات إلى أى فتوحات تذكر فيها خاصة وأن الحرب الأهلية استمرت حتى توفى سانشو الثانى فى يناير سنة ١٢٤٨م. وعندئذ استقر الملك ألفونسو الثالث فى الحكم وبايعه الجميع، وتلقب بلقب الملك فى حين أنه كان من قبل يلقب بلقب القائم بشئون الدولة أو نائب الملك(٧٥).

ومن الأحداث الهامة فى غرب الأندلس - ما حدث عندما بدأ الفونسو الثالث حكمه كملك- مشاركة البرتغاليين فى حصار مدينة إشبيلية بقيادة بايو بيريز مقدم جماعة القديس شانت ياقب، ومعه عدد كبير من أفرادها، بالإضافة إلى كثير من الفرسان البرتغاليين . وقد أشار برنداو إلى أن المؤرخين الأسبان تجاهلوا دور النبلاء البرتغاليين ، إذ كان لهم دور كبير حيث عبروا نهر وادى يانة واشتبكوا أيضًا فى أكثر من موقعة مع ابن محفوظ ملك الغرب الأندلسى، كما اشتبكوا أيضًا مع مسلمى طريانه Triana . وكان لهم نشاط فى شغل قوات المسلمين حتى لايتكتلوا فى الدفاع عن إشبيلية ، وأيضًا أشار إلى جماعة فرسان رهبان ابيز وزعيمهم مارنين فرديناند مع جماعة فرسان الداوية من مملكة البرتغال شاركوا أيضًا فى حصار أشبيلية، والاستيلاء عليها فى سنة ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م(٧٦).

وكانت أول مهام الملك ألفونسو الثالث بعد استقرار الأمور ورغبته فى أن يضفى على حكمه أهمية وبطولات ، فقرر التوجه إلى الاسكترامادورا لكى يواصل حركة الاسترداد ويضع نهاية للبقية الباقية من الأراضى الإسلامية غرب نهر وادى يانه وقد جمع جيوشه والأموال اللازمة لهذا المشروع فأرسل لجمع الجنود من المدن البرتغالية كما استعان بفرسان جماعات الرهبان ومنهم جماعة أبيز Aviz (قلعة رباح سابقا) وجماعة شانت ياقب وكانت لهما أهمية كبيرة آنذاك فى الألتنخو وأراضى الغرب وجماعة الاسبتارية . واشترك كثير من الفرسان المشهورين وكثير من الفرسان الذين شاركوا فى حصار إشبيلية والاستيلاء عليها؛ هذا فضلاً عن الأمير بدرو عم الملك(٧٧).

وتوجه فى ربيع سنة ١٢٤٩م / ٦٤٧هـ إلى مدينة فارو Faro (شنتمرية الغرب) (٧٨)، خاصة وأن مدينة فارو وإقليمها غدت آخر ما بقى من الأراضى الإسلامية غربى وادى يانة.

وتشير الروايات إلى أنها كانت تابعة لأمير المؤمنين (الخليفة الموحدى فى مراكش) وكان يحكمها حاكم يدعى ابن هارون Uben Harron ويخمن برناردو أنه فى لقبه un almoxarife por Aloandre يرتبط باسم أمير المؤمنين فى المغرب وكان حاكم المدينة لديه عدد كبير من الرجال والأسلحة لأجل الدفاع عنها، وهى مدينة قوية وحاميتها مشهورة بقوتها . وكان سكانها يشعرون بالأمان والطمأنينة لحصانة مدينتهم وكانت المدينة مجهزة وخارجها برج مراقبة وعند رؤية أى خطر تدق الأجراس وتعطى تحذيراً للمدينة (٧٩)، وهكذا أصبحت مدينة فارو ملاذاً وملجأ لكل المسلمين المطرودين أو الذين رفضوا البقاء تحت الحكم المسيحى فى كافة

المدن والقلاع التى استولى عليها البرتغاليون. وقد أشارت المصادر الإسلامية إلى أهمية هذه المدينة وأنها كانت من الموانىء الهامة جداً فى غرب الأندلس، خاصة بعد سقوط الموانى الأخرى وأصبحت هى الميناء الرئسى غربى وادى يانة. وكانت مجالا للتجارة المزدهرة وقد أشار الحميرى والإدريسى إلى أنه كانت بها المراكب واردة وصادرة ، وبها دار لصناعة السفن وكان من الضرورى أن يبدأ الملك البرتغالى بالاستيلاء عليها لأنه بسقوطها سيسهل سقوط توابعها

وعندما وصل الملك الفونسو الثالث مع جيشه إلى فارو Santa Maria de Faro أمر بتنظيم جيشه وتوزيعه على كل أسوار المدينة لحصارها؛ بعد أن قام بقتل الكثير من السكان والقادة فى المناطق المجاورة لكى لايتكتلوا أو يقدموا مساعدات للمدينة ولكى يفقد المسلمون الأمل فى وصول أو انتظار النجدات عن طريق البحر، أمر الملك أسطولاً من السفن بمحاصرة المدينة عن طريق البحر أى إحكام الحصار عليها براً وبحراً [٨٠]. ثم شدد البرتغاليون هجومهم على أسوار المدينة ونجحوا فى نقب منطقة من الأسوار ، ولكن نجح المسلمون فى سد الثقب وكان يايو ومجموعته ومعه فرق من الاسبتارية وأبيز قد هاجموا أحد الأبواب ويدعى باب الرهبان Porto los Freires . وفى نفس الوقت أمر الملك أحد النبلاء ويدعى برو اسكرنيو Pero Escrenho بأن يهاجم أحد الأبراج القوية ويسمى برج خوان دى بيام Joao de Baim وكان فى مواجهة قصر الملك حاكم المدينة[٨١].

أما بالنسبة للسفن الإسلامية فإنها عندما رأت كثرة عدد السفن المسيحية وأنه لاقبل لها بمواجهتها فرت من المواجهة [٨٢].

وقد عرض الملك ألفونسو الثالث على قائد المدينة ابن هارون أن يستسلم ويسلم المدينة وقلعتها مقابل حريتهم . ولكن رفض حاكم المدينة[٨٣] هذا العرض . وكان أن استمر الحصار لبضعة أيام قاوم فيها المسلمون قدر طاقتهم، حتى تأكدوا أنهم لن يستطيعوا انتظار النجدة التى كانوا يتوقعوها . وبدأ سكانها فى المعاناة من استمرار القتال، مما دفع ابن هارون لطلب تسليم المدينة والرحيل على شرط أن يخرج المسلمون من فاروا ويتجهون إلى أماكن أخرى ومعهم كل أملاكهم . وإذا أرادوا أن يعيشوا فى المدينة عليهم دفع الجزية للملك البرتغالى، (كما كانوا يدفعون من قبل إلى أمير المؤمنون على حد رواية المدونات البرتغالية) ويستطيعون الاحتفاظ بأملاكهم ومنازلهم على أن يكونوا خاضعين للملك ويخدموه فى الحرب ويؤدون

الخدمات المفروضة عليهم ومنها الدفاع أيضا عن المدينة . وقبل الملك ألفونسو الثالث هذه الشروط وبناء عليه بدأت اجراءات التسليم بتقدم عشرة من الفرسان مقابل عشرة من المسلمين لتسليم قلعة المدينة. ولكن حدثت تطورات، إذ أن البعض من جنود القلعة رفضوا الإذعان للتسليم ورفضوا الاستسلام ، مما أعاق دخول الملك إلى القصر خوفا على حياته، وقرر القضاء أولاً على هذه الجماعة الرافضة. وبدأ القتال بمحاولة البرتغاليين فتح أحد أبواب القلعة ولكن المسلمين قاوموا بشدة، ومات من الطرفين كثير من الرجال، مما دفع الملك إلى الصعود بسرعة إلى أحد الأبراج لكى يرى جيشه ويصدر تعليماته حتى تم القضاء على القوة المدافعة عن القلعة، ثم الاستيلاء على المدينة فى شهر مارس سنة ١٢٤٩م- ٦٤٧هـ [٨٥]. وقام الملك بتنظيم أحوال المدينة وعين حاكمًا للمدينة هو استفاو بيرز Estevao Pires de Tavares وهو أحد النبلاء البرتغاليين الذين حضروا حصار أشبيلية [٨٦]، وإن كانت هناك رواية بأن البرتغاليين اقتحموا المدينة وأنها فتحت عنوة، وحدث خلل وهرب سكانها ودخل البرتغاليون وقتلوا كثيرا من المسلمين [٨٧]. ولكن الرواية الأولى لاتختلف كثيراً عن الثانية إذ أجمعت عليها المصادر البرتغالية .

وكان السماح لمسلمى المدينة فى البقاء مقابل دفع الجزية ومثل سياسة اتبعها كثير من ملوك شبه الجزيرة الإيبيرية فى أنحاء وفترات مختلفة، وذلك لما هو معروف من الاستعانة بالمسلمين فى كثير من الصناعات والزراعات لتقدم المسلمين فى شتى مجالات الحضارة. ورأت مملكة البرتغال مثل غيرها الاستفادة من هؤلاء المسلمين خاصة فى هذه المدينة التى تعتبر من أهم موانى الغرب ولها نشاط تجارى كبير .

وبعد الاستيلاء على فارو قرر الملك غزو باقى القلاع الصغيرة فى الغرب ولذا قسم جيشه إلى عدة جيوش وأرسل أحدها وهو مكون من جماعات رهبان فرسان ابيز بقيادة مقدمهم مارتين فرديناند D. Martin Fernandez لكى يهاجموا مدينة البوفيرة Albuferia فنجحوا فى الاستيلاء على المدينة ولكن قبل دخول المدينة حضر الملك وخير سكانها بين الرحيل والبقاء ومنح المدينة لجماعة ابيز، وفى نفس ذلك الشهر ، وهو شهر مارس سنة ١٢٤٩ [٨٧]، توجه جيش آخر من البرتغاليين يتألفون من جماعة القديس شانت ياقب بقيادة بايو إلى مدينة سلير Selir واستولوا عليها [٨٨]، ثم انضموا إلى جيش الملك وتوجهوا إلى مدينة لولى Loule واستولوا عليها بعد مقاومة ضعيفة من جانب المسلمين ، وقتل عدد من الجانبين ثم استولوا على الجزر Aljezur ، فلته بورشز Porches[٩٠]. وانفصل بايو بجيشه واستولى على مدينة

سان فيكفت San Vicante وكان بها الكثير من المسلمين فقتل وأسر الكثيرين بها(٩٠).

وجدير بالذكر أن بعض القلاع السابقة كان قد تم الاستيلاء عليها من قبل فى عهد الملك سانشو، ولكن يبدو أن المسلمين انتهزوا فرصة الحرب الأهلية الدائرة فى البرتغال واستطاعوا استعادة هذه الأراضى والقلاع مرة أخرى.

وقد أشار هرقلانو إلى أن البرتغاليين أخضعوا مرة أخرى قلاع مثل ايمونت Aiamonte وكاسلا Cacela وطبيرة Tavira ، وهى قلاع كان قد استولى عليها فى عهد سانشو الثانى(٩١)، وجدير بالذكر أن المصادر البرتغالية لم تشر إلى هذه الاستيلاءات أو إلى أحداثها مرة أخرى.

أما آخر ما أشارت إليه الروايات من حركة التوسع البرتغالية فكانت مدينة الفجر Al-faghar وبها مدت البرتغال حدودها حتى شاطىء المحيط فى سنة ١٢٥٠م (٩٢)، بالإضافة إلى عدد من القلاع شرقى نهر وادى يانه مثل اروطه Arode وارووسينه Aracena(٩٣). وهكذا وصلت البرتغال فى عهد الفونسو الثالث فى سنة ١٢٥٠م / ٦٤٨هـ إلى حدودها المعروفة وتم إنهاء الوجود الإسلامى غربى نهر وادى يانة.

وجدير بالذكر أنه أثناء هذه الفتوحات الأخيرة وخاصة شرقى وادى يانة حدث نزاع بين مملكة البرتغال ومملكة قشتالة إذ رأت الأخيرة أن البرتغاليين استولوا على بعض المناطق التى تعتبر مجالا لفتوحاتها ، مما جعل النزاع يدب بين البرتغال وقشتالة . وكان ملك البرتغال يرى أن هذه الأراضى هى الامتداد الطبيعى لأملاكه (٩٤).

كذلك رأت مملكة قشتالة أن حقوقها تنسحب أيضًا على بعض القلاع فى غرب وادى يانة، خاصة أن بعض المصادر القشتالية أشارت إلى أن بايو كان يعمل لحساب مملكة قشتالة، وأنه استولى على تلك الأراضى باسم مملكة قشتالة . وهناك مدونة قديمة تشير إلى أن بايو استولى على عدة أماكن فى الغرب كان قد فتحها لحساب ملك قشتالة(٩٦).

ويشير دوراتى ردا على ذلك بأن بايو قد انفصل عن تبعية ملك قشتالة وأصبح تابعًا لملك البرتغال (٩٦)، فهل يعنى ذلك أنه فى الفترة السابقة كان بايو يعتبر تابعا لملك قشتالة، والواقع أن بايو كان من أعضاء جماعة شانت ياقب التى كان من مراكزها الرئيسية فى البرتغال مدينة بلمالة Palmela كذلك أصبح حاكم قصر أبى دانس بعد الاستيلاء عليه فى

سنة ١٢١٧م وكان كلما استولى على مدن وأراضى بادر الملك سانشو الثانى وأصدر المراسيم بمنحه هذه المدن والأراضى للدفاع عنها وتعميرها ، ولكن ترى أن وجهة النظر الطبيعية هى أن البرتغاليين استولوا على بعض المناطق من الأراضى التابعة لابن محفوظ وهو على علاقة قوية وتبعية لمملكة قشتالة. وترى الأخيرة أن هذه الأراضى التى كانت تابعة لابن محفوظ فى مناطق ومجال فتوحات مستقبلية لها، أما الاعتماد على أن بايو يريز كان تابعا لمملكة قشتالة، على أساس أنه كان تحت تبعيته فى حصار إشبيلية فإنه بحكم كونه زعيماً من زعماء جماعات الرهبان الفرسان . وكان يرى ميدانه هو القتال ضد المسلمين سواء أكانوا فى الأراضى التى تعتبر امتداد لمملكة قشتالة أو الأراضى التى تعتبر امتدادا لمملكة البرتغال. ومما يؤكد وجهة نظرنا أن المدونة العامة الأولى لتاريخ أسبانيا تشير إلى أن بايو وهو من جماعة شانت ياقب البرتغاليين ومعه العديد من الفرسان والنبلاء البرتغاليين اشتركوا فى حصار إشبيلية(٩٧).

وقد فند برنداو هذا الرأى وأشار إلى أن المصادر القشتالية تشير أن الأراضى التى فتحها بايو لاتقع فى مجال فتوحات البرتغال، وأن الأراضى التى اكتسبها كانت تحت رعاية وتبعية فرديناند ملك قشتالة. وعقب برنداو أن هذا بعيد عن الحقيقة(٩٨) .

وهكذا أصبح المسلمون فى غرب الأندلس بين شقى الرحى، أى بين القشتاليين والبرتغاليين. وكان سقوط أشبيلية سنة ١٢٤٨م إيذانا بانتهاء الوجود الإسلامى فى غرب الأندلس ، إذ أن القواعد والمدن الباقية توالى سقوطها . وهكذا تكاملت الفتوحات القشتالية والبرتغالية . وكان المسلمون آنذاك ينحصرون فى الجزء الجنوبى من شبه الجزيرة ، وهو ما أصبح مملكة غرناطة لبنى الأحمر، وكان المرجع الرئيسى لسقوط هذه القواعد هو الانقسامات والخلافات بين زعماء الموحدين ، وانقسام الأندلسيين فيما بينهم وما ترتب على ذلك من ثورات الأندلسيين ضدهم مما قسم الأندلس فرقا وشيعا.

وهكذا نجحت مملكة البرتغال فى انتزاع القواعد والمدن الأندلسية فى غرب الأندلس حتى وصلت حدودها جنوبا إلى المحيط الأطلنطى ، وإلى حدودها المعروفة ولم يكن ذلك نتيجة لقوة مملكة البرتغال أو نشاط ملوكها فحسب بل لضعف المسلمين وانقسامهم على أنفسهم منذ موقعة العقاب سنة ١٢١٢م . واتسمت تلك الفترة بتسوية النزاعات بين الممالك المسيحية وتوحيد جهودها وقواها ضد المسلمين فى الأندلس ، استغلالا لهذا الضعف والانقسام الذى اعترى الجبهة الإسلامية فى الأندلس .

الحواشى

١- Capello ذو الثوب الكهنوتى اشتهر بهذا الاسم وأطلقت عليه جميع المدونات هذا الاسم وقد أشار أشباخ والمدونات البرتغالية أنه اشتق من الحياة التى عاشها فى أعوامه الأخيرة بالإضافة إلى أن والدته كانت قد ألبسته وهو طفل على أثر مرض ألم به- ثوب راهب تبركا بالقديس أوغطين ووفاء لنذر نذرته متى شفى . أشباغ : تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين ، ج٢ ، القاهرة ١٩٩٦ ، ص٢١٤ .

٢- أشار دنيس ولد سانشو الثانى فى ٨ سبتمبر ١٢٠٢ Denis , F: Historia de Portugal. Barcelone 1845 , p. 18. ويتفق معه أشباخ أنه كان لديه العشرين من عمره حينما خلف أباه نفس المرجع ، ص٢٠٧ وإن كان المؤرخ دوراتى يشير إلى أنه كان لديه من العمر عند وفاة أبيه ٢٦ عاما Daurte Nunes de Leao . Chronica del Rei Sancho II. Cronicas dos Reis de Portugal . Porto 1975 , p. 125 .

وكانت أمه هى دونيا اوراكا ابنة الفونسو الثامن ملك قشتالة . Duarte . Op. cit, p. 123

٣- لمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع انظر :

Cronica do Rei D. Sancho II . Cronicas dos sete primeiros Reis de Portugal , Lisboa 1952 , pp. 211-217 . Duarte, Op. cit, p. 127 .

أشباخ : نفس المرجع ، ج٢ ص٢٠٧ .

٤- Herculans , A. Historia de Portugal. T2, Lisboe 1982 , pp. 349-350 .

٥- ابن عذارى: البيان المغرب، القسم الثالث (الموحدين) انطوان ١٩٦٠، ص٢٤٧ ، ابن أبى زرع ، الأنيس المطرب بروض القرطاس ، الرباط ١٩٧٢م ص٢٤٧ .

Huice : A. M, Historia Politica del Imperio Almohade T2 , tetuan , 1956 , p. 450 .

٦- ابن عذارى: البيان المغرب ، ص٢٤٧ ، ٢٤٨ ؛ ابن أبى زرع : روض القرطاس ، ص٢٤٤-٢٤٦ ؛ عنان : عصر المرابطين والموحدين ، ج٢ ، القاهرة ١٩٦٤ ، ص٣٥٤-٣٥٩ ؛ أشباخ : تاريخ الأندلس، ج٢ ص١٥٦ وانظر تفاصيل أوضاع الموحدين أيضًا فى :

Herculano, Op. cit. T2 , pp . 365-366, Peres, D. Historia de Portugal, vol 2. Barcelos, 1929 , p. 214 .

٧- ابن عذارى : البيان المغرب، ص٢٤٩-٢٥٠ ؛ الحميرى، صفة جزيرة الأندلس، القاهرة ١٩٣٧، ص٦٠-٦١ .

Cronica Latina de los Reyes de Castilla, Universidad de cadiz 1984, pp. 65-66 .

٨- مدينةطلياطة «بالأندلس بينهما وبين أشبيلية محلة من عشرين ميلا ومن طلياطة إلى ليلة محله مثلها» الحميرى : نفس المصدر، ص١٢٨ .

٩- أشار عنان إلى أن مارتين سانشيز هو ابن لسانشو الثانى.

عنان : نفس المرجع ، ص٣٥٤ وأشار أيضًا ويشى ميرانده Huiciفى ص٤٤ أنه ابن ساشنو الأول وفى صفحة أخرى وهى ٤٥٤ أشار أنه ابن سانشو الثانى وقد أشار إليه هرقلانو أنه ابن سانشو الأول، Herculan , Op. cit, pp. 298-299 .

وجدير بالذكر بحثنا من خلال المدونات لم نجد من أبناء سانشو الثانى ما يدعى مارتين ، وهو في الواقع ابنا لسانشو الأول، وقدٌأشار بيريز أنه عم سانشو الثانى Peres, Op. cit. cit., p.214 وهو أيد ذلك لأنه دوارتى أشار أن سانشو الثانى عندما تولى كان لديه من العمر ٢٦ عاما وهذا ما ينفى أن يكون مارتن ابنا له ولمزيد من التفاصيل عن هذه الغزو انظر . Duarte Op. cit, p. 129

١٠- الحميرى : نفس المصدر، ص١٢٨-١٢٩ ؛ عنان : نفس المرجع ، ج٢ ، ص٣٥٤ .

١١- بالإضافة إلى روايات ابن عذارى وابن أبى زرع عن هذه الغزوات انظر :

Ganzalez ., J: Las Conquistas de Fernando III en Andalucia , Madrid 1946 , p. 28-37, Huici, Op. cit, T2 , pp. 454-456 , Fortunato, Historia de Portugal. TI, coimbra 1922 . pp . 204-205 ,

ولمزيد من التفاصيل انظر عنان : نفس المرجع والجزء ص٣٥٧-٣٦٣ .

١٢- كان سانشو قد تلقى مساعدات من البابا هونوريوس فى ١٢٢٥م لأجل أن يتجهز لقتال المسلمين.

Peres. Op. cit, T2 , pp. 214-215 .

١٣- Herculano , Op. cit. T2 . pp. 371-372 , martinz, M. R: Historia del Reino de Bad-ojoz, Badojoz 1905 , p. 248 .

١٤- Serrao , J. V: Historia de Potrugal , vol I , Lisboa 1979 , p. 127 .

١٥- Herculano , Op. cit, T2 , p. 273 .

١٦- Brandao , A. Monarquia Lusitana . Parte 4 , Lisboa 1974 , p. 125 CF. also: Fortunato, Op. cit, p. 205 ; Serrao P.OP. cit, p. 127 ; Stephens, H.M; Portugal. London 1891 , p. 75 .

١٧- Brandao , A, cronicas de D. sancho II ED. Alfonso III, porto 1946, p .26 ; CF . also ; Peres , Op . cit, 12 , p. 215 ; Denis , Op. cit, p. 18 Stephens, Op. cit. Loc cit., Martinez, Op. cit., p. 279-280 .

١٨- Herculano , Op. cit. T2 , pp. 374-375 ; Fortunato Op. cit. p. 205 .

١٩- Brandao , Man ... Lus ... Parte 4, p. 126 ; CF. also ; Peres , Op. cit, p. 215 ; Lomax, D.W; La Reconquista. Barcelana 1984 , p. 186 ; Sergio, A; Breve interpretacao da Historia de Portugal . Lisboa (N.D), p. 21 .

أشباخ : نفس المرجع ، ص٢٠٨ .

٢٠- Beirao , G: Historia breve de Portugal, Lisboa (N.D), p. 14 .

٢١- Herculano , Op. cit. T2 , pp. 374-375 ; Fortunato Op. cit, Loc cit; Serrao , Op. cit. p. 128 ; Mattoso, A.G: Historia de Portugal , vol.I . Lisboa 1939 , p. 70 ; Martinz , Op. cit, p. 287 .

٢٢- Fortunato , Op. cit, p. 208 ; Les Hospitaliers de la morte de D. Alfonso Henriquez a lo suppression des templiers, Paris 1977 , p. 39 ; Serrao , Op. cit. Loc cit.

٢٣- Radrigo, Op. cit, p. 274 ; Brandao, Cranicas de D. sancho II, p. 40, CF. also : Serrao , Op. cit, p. 128 ; Herculano Op. cit, p. 398. ; Peres Op. cit, p. 220 .

٢٤- Herculano , Op. cit, p. 419 .

٢٥- Peres, Op. cit, p. 223 ; Fortunato, Op. cit, Loc cit.

٢٦- نتيجة لنشاط الفونسو بيريز ضد المسلمين فقد تلقب بلقب فارس فى جماعة فرسان رهبان الاسبتارية والذى أصبح سيد الجماعة فى البرتغال وحارب المسلمين مدة ٢٢ سنة على الحدود البرتغالية الإسلامية ثم بعد منحه هاتين القلعتين اختار البقاء فى مورا . Moura Peres, Op. cit, p. 223

٢٧- أشار دوريك الطليطلى إلى أنه سانشو الثانى استولى على شيربة وعلى قلاع أخرى عديدة دون توضيح Rodrigo , opcit, p. 274 ولمزيد من التفاصيل عن هذه الاستيلاءات انظر , Herculono Op. cit, pp. 420-422 Fortunato , Op. cit, loc cit, serrao , Op. cit, loc cit, : stephens, Op. cit, p. 76 .

٢٨- وقد أشار البابا جريجورى التاسع فى مقدمة الرسوم «جريجورى أسقف وخادم خدام الله وكل الأخوة المسيحيين فى مملكة البرتغال يكونوا تحت حمايتنا ورعايتنا مع ملكهم الشهير ملك البرتغال سانشو الثانى ومن أجل حملاته ضد أعداء المسيح وأيضا كل النبلاء فى أراضيه والذين قادوا الجيوش عن طريق البر والبحر وخدمتهم للكاثوليكية تشملهم بحمايتنا وعايتنا ... الخ» انظر نص هذا المرسوم فى: Brandao , Cronicas de D. S. ancho II , pp. 67-68 ; Basto : Cronica de cinco Reis de portugal, vol I, porto (N.D), pp. 170-174 . CF. also serrao , Op. cit loc cit .

أشار أشباخ إلى البابا جريجورى الحادى عشر والواقع أنه التاسع، أشباخ، نفس المرجع والجزء ، ص٢٠٨ .

٢٩- Peres, Op. cit, p. 190 .

أشباخ : نفس المرجع والجزء ، ص٢٠٦ .

٣٠- Herculano , Op. cit. p. 433 ; Fortunato , Op. cit, p. 208 ; sergio , Op. cit, p. 21 .

٣١- Brandao, Cronicas de D. sancho II, p. 56 ; Cronica Rei D. A fonso !!!, pp 253-255 . CF. also : serrao , Op. cit, p. 128 ; Beirao, Op. cit, p. 14 .

٣٢- Herculano , Op. cit, loc cit; Peres, Op. cit, p. 224 .

٣٣- Brandaa, Mon Lus ..., parte 4 . p. 140 .

٣٤- ابن عذارى: البيان المغرب- قسم الموحدين، ص٢٥٣-٢٥٥ ؛ أبى ابن زرع روض القرطاس ، ص٢٤٩-٢٥٣؛ عنان ، نفس المرجع، ص٣٦٤-٣٦٥ .

٣٥- ابن عذارى : البيان المغرب (قسم الموحدين)، ص٢٥٣، ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، ص٢٤٧-٢٤٩ .

٣٦- ابن أبى زرع : روض القرطاس ، ص٢٥٠-٢٥١ ، عنان : نفس المرجع ص٢٦٨-٢٦٩ . Huici, Op. cit . pp. 473-474 .

٣٧- ابن أبى زرع : روض القرطاس ، ص٢٥٣ ؛ عنان : نفس المرجع ، ص٣٨٢ .

٣٨- لمزيد من التفاصيل عن ابن هود وثورته انظر:

ابن أبى زرع : روض القرطاس : ص٢٥٢-٢٥٣، ص٢٧٤، ابن الخطيب : أعمال الأعلام، بيروت ١٩٥٦، ص٢٧٧-٢٨٦؛ عنان: نفس المرجع ، ص٤١١-٤١٥ ؛ أشباخ ، نفس المرجع ، ج٢ ص٢٠٨ .

Castro. Op. cit, pp. 69-70 .

٣٩- أشار إليها الحميرى، «على نهر بطليوس بجزيرة الأندلس ، ضفة جزيرة الأندلس، ص١٧٥ وأشار إليها الإدريسى» حصن مارتلة المشهور بالمنعة والحصانة ضفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس تحقيق دوزى امستردام ١٩٦٩م، ص١٧٩ ولمزيد من التفاصيل عن المدينة وحصانتها وأثارها انظر دراسة : Pavon: B; Ciudades Y Fortalezas Lusomusulmanas, Madrid 1993, pp. 34-46 .

٤٠- Brandao , Cronicas de D. sancho II, p. 65 ; CF. also ; Fortunato , Op. cit., p. 208 ; coelho , Op. cit, p. 323; sergio , Op. cit, p. 27 .

٤١- أشار براندو إلى أنه توجد احدى الروايات أنه تم الاستيلاء عليها فى عام ١٢٣٤م عندما أسبغت البابوية رعايتها على الحروب الصليبية فى البرتغال.

Brandao Mon... Lus .., p. 141 .

٤٢- Brandao , cranicas de sancho II, pp. 65-67 ; CF. also : serrao , Op. cit, p. 129 ; Lo-max, Op. cit, p. 188; peres, Op. cit, p. 244 ; castro , Op. cit, pp. 71-72 .

أشباخ : نفس المرجع ، ج٢ ، ص٢٠٨ .

٤٣- البور تقع على بعد ١٦ كم من شلب ويشير هرقلانو إلى أن هذه القلاع (البور) كانت أسست لخدمة القرى المجاورة ومركز للدفاع عنها.

Herculano , Op. cit, p. T2, p. 45 .

٤٤- Duarte, Op. cit, p. 173 ; Cronica del Rei D. Alfonso III. p. 256 ; cranica Reinos de Portugal, p. 204 ; CF. also : collho , Op. cit, p. 324 .

٤٥- Cranico do Rei D. Alfonso III, p. 256 , Brndao, cronicas de sancho II, p. 69 .

٤٦- Coelho , Op. cit, p. 324 .

٤٧- Cronica do Rei D. Alfonso III, p. 260 ; CF. also ; serrao , Op. cit, p. 129 , Fortunato, Op. cit., Loc cit; Peres, Op. cit , p. 224 ; mattoso, Op. cit, pp. 70-71, stephens, Op. cit, p. 78 .

أشباخ: نفس المرجع ، ج٢ ، ص٢٠٨ .

٤٨- Brandao , Cronicas de sancho II, p. 67 .

٤٩- Serrao, Op. cit, p. 129 .

قلعة رودريك فى غير قلعة مدينة رودريك Ciudad Rodrigo والأخيرة تقع فى مملكة ليون .

- وجدير بالذكر أن جميع الروايات اختلفت فى سنوات وترتيب الاستيلاءات على المدن والقلاع الإسلامية وإن كانوا اتفقوا أنها ما بين ١١٣٨-١١٤٢م .

٥٠- Brandao , Cronicas de Sancho II, p. 69 ; Cronica Do Rei D. Alfonso III, p. 257 ; Cronica de cinco Reis de portugal, p. 205 .

٥١- Duarte, Op. cit, pp. 173-174 ; Cronica do Rei P. Alfonso III, pp. 266-267 , CF also. Coelho , Op. cit, p. 325 .

٥٢- Coelho , Op. cit loc cit.

٥٣- Brandao , Cronicas de Rei D. sancho II, p. 70.

٥٤- Ibid p. 72 .

٥٥- Brandao , Mon ... Lus .., T4, pp. 146-147 ; CF. also ; Coelho, Op. cit, Loc cit.

٥٦- Duarte, Op. cit , pp 174-175 ; Cronica do Rei D. Alfonso III, p. 202 .

٥٧- هناك رواية أنه قرر الانتقام من سكان المدينة لأنه قد أرسل خمس فرسان مع بدرو رودريك لاستطلاع أحوال المدينة ولكن قتلهم المسلمين فى منطقة انتس Antes فانتقم من المسلمين فى تلك المدينة.

Cronica de cinco Reis de Portugal, pp. 208-209 , CF. also : Coelho , p. 328 .

- بحثنا عن اسم ابن قلول من خلال ما أتيح لنا من المصادر ولم نعثر على أى معلومة عنه أو اسمه.

٥٨- Brandaeo , Cronica de Rei Di . Sancho II, p. 71 ; Duarte, Op. cit, p. 176 ; coelho , Op. cit Loc cit, castro Op. cit, p. 699 Fortunato, Op. cit, p. 208 .

- والاستيلاء على المدينة أضيفت إليه بعض الأساطير مثل أسطورة السبع صيادين (قناصين) وبطولاتهم فى الاستيلاء على المدينة.

Denis, Op. cit, p. 22 .

وإن كان دنيس Denis قد وصف الاستيلاء عليها فى عهد الفونسو الثالث .

Brandao : Cranio de Sancho II, p. 74- CF - also : serrao Op. cit, p. 129 ; castro , Op. cit, p. 69 ; Fortunato, Op. cit p. 208 sergio , Op. cit, p. 21 .

٦٠- يشير إليها الإدريس بقوله : «حسنة فى بسيط من الأرض وعليها سور حصين ولها غلات وجنات وشرب أهلها من واديها الجارى بجنوبها وعلى أرجاء البلد والبحر منها غربا على ثلاثة أميال ولها مرسى فى الوادى وبها الانشاء والعود بجبالها كثير يحمل منها إلى كل الجهات والمدينة فى ذاتها حسنة الهيئة بديعة المبانى مرتبة الأسواق وأهلها سكان قراها عرب من اليمن وغيرها وهم يتكلمون بالكلام العربى الفصيح الصريح... ومدينة شلب على اقليم الشنشين وهم اقليم به غلات التين الذى يحمل إلى أقطار الغرب.

- الادريسى : صفة المغرب ، ص١٧٩-١٨٥ ولمزيد من التفاصيل عن مدينة شلب انظر الحميرى: نفس المصدر، ص١٠٦ ؛ أبو الفدا : تقويم البلدان، باريس ١٨٤٠م، ص١٦٧ .

٦١- لمزيد من التفاصيل عن أهميتها وأحداثها انظر بحثنا عن مدينة شلب بين البرتغاليين والصليبيين والموحدين ١١٨٩-١١٩١م . ألقى هذا البحث فى الندوة التاريخية الأولى للعلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى من ٢٠ أكتوبر ١٩٩٢م بكلية الآداب- جامعة الإسكندرية .

٦٢- Duarte , Op. cit, p. 177 ; cronica do Rei D. Afons III v pp 269-270, cronica de cin- co Reino de Portugal , p. 214 .

٦٣- Brandao, Cronicas de D. Sancho II, pp. 72-73 ; cronia do Rei D. Alfonso III, p. 270; coelho , Op. cit., p. 330 .

٦٤- Duarte, Op. cit., p. 178; Coelhgo, p. cit, Loccit.

٦٥- Brandao , Cronicas de D. sancho II, 73 .

٦٦- Marques, Op. cit, p. 164 .

٦٧- Coelho , Op. cit, loc cit .

٦٨- لمزيد من التفاصيل انظر بحث جونثالث عن فتوحات الملك فرديناند الثالث فى الأندلس .

Gonzales, J. Las conquistas le Fernando III 3n Andolucia, Madrid, 1946 .

عنان : نفس المرجع جـ٢ ، ص٤١١-٤٢٠ .

٦٩- ابن أبى زرع ، روض القـــــرطاس ، ص٢٧٣-٢٧٥-٢٧٧ ؛ عنان : نفس المرجع، جـ٢ ، ص٤٣٨-٤٤٤ .

- Masia, A: Introduccion a la Historia de Espana, Barcelana 1943 , pp. 190-191 .

٧٠- لمزيد من التفاصيل أنظر ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ص٢٧٧-٢٨٦ ، عنان : نفس المرجع ، ص٤١١-٤٣٦ .

٧١- ابن عذارى: البيان المغرب ، قسم الموحدين، ص٣٢٢، ابن أبى زرع ، روض القرطاس، ص٢٧١، عنان ، ص٤١٦ .

٧٢- Castro: Niebla, p.71 وهى رسالة عن مدينة لبلة.

٧٣- كان ألفونسو متزوجا من ماتيلده صاحبة بولونيا ووريثتها وأصبح أمير لهذه الولاية وكان وثيق الصلة بالكنيسة حتى أنه وعد بأن يقود حملة إلى المشرق لمحاربة المغول وأن ينظم حملة صليبية ضد مسلمى الأندلس، ولمزيد من التفاصيل انظر Cronica Do Rei D. Alfonso III, pp. 24 - 252.

أشباخ ، نفس المرجع ، ص٢١٢ .

٧٤- انظر تفاصيل الحروب الأهلية والنزاعات بين الملك سانشو الثانى وأخيه ألفونسو الثالث ثم وفاة سانشو فى:

Duarte, Opcit, pp 134-138 ; Cronica do Rei D. Alfonso III, pp. 229-241 ; Brandao , Cronica de Rei D. Sancho II, pp. 90-110 ; CF also : castro , Op. cit., pp. 72-73 ; Valdeavellano, Op. cit., pp. 135-136 ; Molina, Op. cit, p. 30 .

- أشباخ ، نفس المرجع ، جـ٢ ، ص٢١١-٢١٤ .

- أشباخ : نفس المرجع، جـ٢، ص٢١٥ .

٧٦- Brandao , Cronicas de Rei D. sancho II, p. 139; Cronica do Rei D. Afanso III, p.

253 , Pimera croncica general de Espana , p. 765 ; CF. also : Lafeuent , Op. cit, pp. 398-399 ; Serrao, Op. cit, p. 137-138 ; Schantal , Op. cit, p. 47 ;

Isidoro de las cagigas, sevilla Almohadey Ultimos anos de su vida nusulmano , Madrid 1951 , pp. 31-33 .

٧٧- Duarte , Op. cit, p. 181 ; Herculano , Op. cit, pp. 19-20 , Peres, Op. cit, p. 244 .

٧٨- أشار إليها الحميرى بقوله «شنتمرية على معظم البحر الأعظم سورها يصعد ماء البحر فيه إذا كان فيه المد وفى مدينة متوسطة القدر حسنة التربة، بها مسجد جامع ومنبر وجماعة وبها المراكب وارده وصادرة وهى كثيرة الأعناب والتين وبينها وبين شلب ثمانية وعشرون ميلا. وهى مدينة أولية وبها دار صناعة للأساطيل وبإزائها جزائر فى البحر «ضفة جزيرة الأندلس ، ص١١٤-١١٥، الإدريسى: نفس المصدر، ص١٧٩ .

٧٩- Brandao , Cronicas, p. 148 ; CF . also : coelho , Op. cit, p. 331 .

٨٠- Brandao, Cronicas, p. 150 ; CF also : Denis, Op. cit, p. 21; serrao , cit, p. 138 ; Fortunato , Op. cit, p. 215 .

٨١- Duarte, Op. cit., p. 181 ; CF . also : coelho , Op. cit., p. 33 .

٨٢- Coelho , Op. cit., p. 331-332 .

٨٣- Ibid.

٨٤- Brandao , Cronicas, p. 150 ; Duarte Op. cit., p. 182 ; CF . also ; Herculano , Op. cit, T3 . p. 20 ; Mattoso, Op. cit, p. 71 ; Peres Op. cit, p. 254 .

٨٥- عنان : نفس المرجع جـ٢ ، ص٤٩٢، أشباخ ، نفس المرجع ، جـ٢ ، ص٢١٥ .

٨٦- Coells, Op. cit, 333 . وهناك رواية أن تم الاستيلاء على المدينة فى شهر يناير سنة ١٢٤٩م .

٨٧- Brandao, Op. cit, pp. 150-151 ; coelho, Op. cit, pp. 332-333 .

٨٨- Coelho , Op. cit., p. 332 .

٨٩- Brandao , Mon .. lus parte 4, pp. 182-183 . Duarte , Op. cit, p. 183 ; CF . also : Herculano, Op. cit, T3 . pp. 21-22 ; Peres, Op. cit., p. 254 ; Stephens, Op. cit, p. 80 ; castro , Op. cit, p. 72-73 .

٨٨- Duarte , Op. cit ., p. 182 ; CF . also : coelho , Op. cit, 331 .

٨٩- Brandao , cronicas , pp 151-152 ; croniea do Rei D. Alfonso III, p. 278 ; CF also : Fortunato , Op. cit., p. 216 ; coelho , Op. cit, p. 216 ; Beirao , cit, p. 17 .

٩٠- Duarte, Op. cit, loc cit ., cronica do Rei D. Alfonso III, p. 278; CF . also : serrao Op. cit, p. 138 .

٩١- Herculano , Op. cit., T3, p 21 ; CF. also : Stephens, Op. cit, p. 80 .

٩٢- Herculano , Op. cit, T3, pp. 21-22 .

٩٣- Serrao , Op. cit., p. 138 .

أشباخ ، نفس المرجع ، جـ٢، ص٤٩٣ .

٩٤- Castro, Op. cit., p. 70 ; Fortunato, Op. cit., p. 216 .

٩٥- Serrao, Op. cit, p. 138 .

٩٦- Duarte, Op. cit., p. 181 ; CF. also .

٩٧- Primera cronica general de Espana, pp. 766-767 .

٩٨- Brandao, Cronicas de D.S ancho II, pp. 148-149 .

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المصادر البرتغالية والأسبانية :

- Brandao , A:

1- "Monarquia Lusitana Parte 3, Parte 4, Lisboa 1973 .

2- Cronicas de D. Sancho II ED . Alfonso III, Porto 1946 .

- Cronica de cinco Reis de Portugal,

Edicoa M. Basto, vol I, Porto (N.D).

- Cronica Latina de los reyes de castilla.

Traoduccion luis chorlo Brea, un . de cadiz 1984 .

- Cronicas dos sete primeiros Reis de Portugal.

1- Cronica do Rei D. Sancho II.

2- Cronica do Rei F. Alfonso III .

Edicao Critica carlos do silva tarouca, vol I.

- Duarte Nunes de leao :

Cronicas dos Reis de portugal .

1- Chronica del Rei D. Sancho 11 .

2- Chronica del Rei D. Alfonso 111 Porto 1975 .

- "Primera Cronica general de Espane"

Publicada P or Ramon Menendez Pidal T2, Madrid 1955 .

- Rodrigo Jimenes de Rada

"Historia de los hechos de Espana" Madrid 1982 .

ثانيًا : المصادر العربية :

- ابن أبى زرع : (ت ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م) أبو الحسن على بن عبدالله

« الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس » الرباط ١٩٧٢ .

- ابن الخطيب : (٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م) لسان الدين أبوعبدالله محمد بن عبدالله

«أعمال الأعلام، أو تاريخ أسبانيا الإسلامية» بيروت ١٩٥٦م.

- ابن عذارى : (ت٧١٢ / ٣١٢م) أبو عبدالله محمد المراكشى»

البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب القسم الثالث (تاريخ الموحدين) نشر ـ ويشى ميراندة تطوان ١٩٦٠م.

ـ أبو الفدا : (ت٧٣٠هـ / ١٣٣١م) الملك المؤيد عماد الدين أبوالفدا اسماعيل

«تقويم البلدان » باريس ١٨٩٠م.

- الأدريسى : (ت٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م) الشريف محمد بن عبد العزيز

«صفة المغرب وأرضى السودان ومصر والأندلس ووصف أفريقيا وإسبانيا» . تحقيق دورى امستردام ١٩٦٩م.

- الحميرى: عاش فى القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى ، أبى عبدالله محمد بن عبدالله بن عبد المنعم

«صفة جزيرة الأندلس منتخبه من كتاب الروض المعطار فى خبر الأقطار» تحقيق ليفى بروفنسال، القاهرة ١٩٣٧ .

ثالثا : المراجع الأوربية:

- Beirao, G :

Historia breve de Portugal, Lisboa (N.D).

- Cagigas:

Sevella Almohade Y ultimos anos de su vida Musulmana., Madrid 1951 .

- Castro : F. R:

Niebla Musulmana (Siglos VIII - xIII, Madrid 1993 .

- Chantal : S

Historia de Portugal, 400, Borcelone 1960 .

- Coelho : A. B:

Portugal na Espanha Arabe, vol 2 , Lisboa 1989 .

- Denis: F:

Historia de Porugal, Barcelona 1845 .

- Fortunato de Ameida:

Historia de Portugal" tl, Coimbra 1922 .

- Gonzalez: J:

Las conquistos de Fernando III en Andalucia" madrid 1946 .

- Herculano : A

Historia de Porugal, t2 , t3 , Lisboa 1982 .

- Huici : M

Historia Politica del Imperio Almohade , t2 , Tetuan, 1957 .

- Lafuente : M;

Historia general de Espana " tl, Barcelona 1877 .

Les Hospitaliers de la morte de D. Alfonson Henriquez a la suppression des templiers, Paris 1977 .

- Lomax, D:W:

la Reconquista " Barcelona 1984 .

- Mattoso, A.G.

"Historia de portugal" vol I, lisboa 1939 .

- Marques, O

Historia de portugal lisboa 1976 .

- Martins, M: R:

"Historia del Reinado Badajoz" Badajoz 1905 .

- Masia, A.

Introduccion ala Historia de Espana, Barcelona 1949 .

- Molina, R:

Portugal , sevilla 1979 .

- Pavon , P:

Ciudades Y fortalezas lusomusulmanas Madrid 1993 .

- Peres, D:

"Historia de Portugal" vol 2, Barcelos 1929 .

- Sergio, A:

Breve interpretacao da Historia de Portugal Lisboa (N.D).

- Serrao, J.V:

Historia de Portugal vol I , lisboa 1979 .

- Shantal, S:

Historia de Portugal , Barcelona 1960 .

- Stephens , H.M:

Portugal London 1891 .

- Valdevellano , L.G:

Historia de Espana , Antigua Y Medievel, Madrid 1980 .

رابعًا: المراجع العربية والمترجمة:

- محمد عبدالله عنان:

عصر المرابطين والموحدين ، جـ٢ ، القاهرة، سنة ١٩٦٤ .

- أشباخ :

تاريخ الأندلس فى عصر المرابطين والموحدين، القاهرة ١٩٩٦ .